إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثالثة عشرة ـ العدد الخمسون ـ صيف ١٤٠٢ش / حزيران ٢٠٢٣م

صص ٧٩ ـ ١٠٨

الواقعية اللوكاشية فی أشعار هارون هاشم رشيد

سكينه حسينی (الكاتبة المسؤولة)*

مجتبی عمرانی‌پور**

فيصل سياحی***

الملخص

يدرس علـــم اجتماع الأدب العلاقات الثنائية بين المجتمـــع والعمل الأدبی كوثيقة اجتماعية ترســـم الوقائع التی تجرف المجتمع، وبما أن الواقعية تمتاز كمذهب أشـــد التصاقا بالطبيعة وحياة الإنسان والمجتمع، وأكثر اهتماما بحيثيات الواقع الاجتماعی وتفاعلاته وتطوراته كما تهتم بتصوير العلاقـــات الاجتماعية تصويرا دقيقا، لذلک لفت هذا العلم انتباه جورج لوكاش، حيث نقده الأدبی كان مؤثرا بوضع أســـس علم اجتماع الأدبی، ففـــی خضم نظريته النقدية ثلاث سمات: الواقعية الحقيقية، والنقدية والشعبية، لهذا تعالج هذه الدراسة أشعار هارون هاشم وفقاً للواقعية اللوكاشية متخذة نظريته الواقعية المتجذرة عن الجدلية الماركســـية مطية ومنهجا لدراستها. ولأن شعره يمثّل نمطا من المعيش فی المجتمع العربی لا يمكنه إلا أن يكون جزءاً منه، فهو ســـعی إلى ربط معاناته بواقع المعيش يؤثّر ويتأثر فيه وبه، تشير نتائج البحث إلى أنّ الشاعر يقـــدّم رؤيته من خلال الواقع، ناقلا الحقائق التی لمســـها عـــن كثب بمصداقية تامة وصـــورة صادقة ومنتقدا التناقضات والتحديات الاجتماعية لبلاده بمنطق ووعی تام وفی أجزاء من قصائده يفضح سياســـات الحكومات الاستعمارية وأنصارها وحكام العرب مشـــيرا إلى تدخّلاتهم فی شؤون شـــعبه ودعمهم لإسرائيل، ويراهم السبب الأساســـی فی معاناة مجتمعه، وعلى بنية السمة الشعبية، صوّر مشاكل ومعاناة أبناء جلدته. كما يمكن القول إنّه لم يقف مكتوف الأيدی أمام أنين مأســـاة مجتمعه بل أنذر ونادی وبشّر ثمّ رســـم طريق النضال كما ركز على القضايا والأحداث التی ترتبط بالعامة وتجسّد تأثير هذه القضايا على معيشة شعبه، فالمتابع لقصائده يرى أنّه يكون ملتزماً بقضايا تخدم شعبه.

الكلمات الدليلية: علم الاجتماع، الواقعية، جورج لوكاش، هارون هاشـــم رشـــيد، الشعر الفلسطينی.

*. دكتوراه فی اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، برديس فارابی، قم، إيران
sakinehhosseini@ut.ac.ir

**. أستاذ مساعد فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، برديس فارابی، قم، إيران

***. طالب دكتوراه فی اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، برديس فارابی، قم، إيران

تاريخ الاستلام: ١٤٤٤/٠٧/٠٨ق تاريخ القبول: ١٤٤٥/٠٢/٠٦ق

المقدمة

يُعدّ "كارل ماركس (Karl Marx)" من روّاد علم الاجتماع حدد موضوع هذا العلم «بدراسة المجتمع الإنسانى، ككل تاريخى متغيّر، من خلال دراسة القوانين الاجتماعية لتطور التكوينات الاجتماعيـــة الاقتصادية.» (المعطى، ١٩٨١م: ٦٩) لذلک نجد العلوم الاجتماعية تهتم بدراســـة نشـــاط الأفراد بوصفهم أعضاء فى جماعة وجميعها تشترک فى هذا التعريف ولكنّها تختلف فى زاوية اهتمامها، ووجهة نظر الباحث فى كل منهما. والنصـــوص الأدبية كمرآة للحياة فهى كســـائر الفنون تكون دالا غير مباشـــر لمدلول يمشـــى على مســـاحات المجتمع فهى تحمل بجوفها آثار المجتمع والجماعة ويؤكد هذا، الثورى والمفكر الروسى، المؤسس الحركة الديمقراطية الاجتماعية فى روسيا "جورجى بليخانـــوف (Georgy Plekhanov)" (١٨٥٦ – ١٩١٨م) «أنّ أول مـــا ينبغى للناقد أن يبحـــث عنه فى العمل الأدبى هو المدلول الاجتماعى، ويرى أنّ الأدب غنى بالمضمون الاجتماعى الذى يمكن الباحث من تحديد ما نســـميه "المعادل السوسيولوجى للظاهرة الأدبية" فما يهم الناقد "بليخانوف" فى العملية النقدية هو المعادل السوسيولوجى الذى يفسّر ارتباط الأدب بالقضايا الاجتماعية".» (الموسى، لاتا: ٤٦-٤٧)

والواقعية تمتاز كمذهب أدبى بأنها أشـــد التصاقا بالطبيعة وحياة الإنســـان، وأكثر اهتماما بحيثيات الواقـــع الاجتماعى وتفاعلاته وتطوراته وتهتـــم بتصوير العلاقات الاجتماعية تصويرا دقيقا، لذلک «تطرح سوســـيولوجيا الأدب على بساط البحث عن العلاقات التى تقيمها الحياة الأدبية مع الحياة الاجتماعية.» (آرون وآخرون، ٢٠١٣م: ٩) فسوسيولوجيا الأدب تدرس الأشكال والوقائع الأدبية والفنية والجمالية فى ضوء المقاربة الاجتماعية، فهى تركز علـــى مختلف اعلاقات التى تجمع بين الأدب والمجتمع ويعنى هذا أنّ بيئة المبدع هى التى تحمل بالأدب وتولده «فالأدب مرآة تعكس أوضاع الكاتب السياســـية والاجتماعية وهـــذا الانعكاس قد يكون مباشـــراً أو يكون غير مباشر.» (جميل، ٢٠١٩م: ٧٤) وانطلاقا من الإيمان بالاتصال الوثيق بين السوسيولوجيا والأدب، يمكن القول: «إنّ الأدب مؤسسة اجتماعية أداته اللغة، وما الأديب إلا عضو فى المجتمع، ومنغمس فى وضع اجتماعى معين، فإنّ كثيراً من المســـائل التى تطرحها

الدراسة الأدبية هى مسائل اجتماعية بشكل كلّى أو ضمنى.» (أبوشقراء، ٢٠٠٥م: ٤٨) عرفت السوسيولوجيا (Sociology) على أنّها مفهوم يرتبط بالدرسات الأدبية شعرا كان أو نثراً، ويعالج واقعية المجتمع والقضايا الاجتماعية. لذا فى الأدب نبحث عن العلاقات الاجتماعية وأنماطها التى طرأت على العمل الأدبى، فغرضها بناء العلاقة بين الأدب والمجتمع فى صورة أفضل والقراءة السوسيولوجية قراءة تربط مضامين الأدب بالمجتمع، فى ترابطاته وعلاقاته المباشرة وغير المباشرة والناقد المجرى "جورج لوكاش (George Lucas)" فى أعماله لم يقتصر على دراسة البعد الجدلى فى النظرية الماركسية بل ساهم عبر كتابه «نظرية الرواية» فى وضع أسس علم اجتماع الأدب الجدلى، كما أنه يعتبر أحد واضعى حجر الزاوية فى علم الجمال الماركسى حيث كان يقول «إنّ الأديب وهو يعكس الوضع الاجتماعى يقدّم لنا موقفه الفكرى من هذا الوضع فهو ناقل وناقد وليس ناقلا حرفيا فحسب، وليس كما تعكس المرآة الأشياء.» (وليد، ٢٠٠٩م: ٣٨) فهو ينظر إلى الأدب على أنّه ظاهرة تاريخية اجتماعية، لها جذورها الضاربة فى أعماق كفاح الطبقات، ويحتم على الناقد الأدبى أن «يفسّر حتمية العلاقة بين المجتمع والفن، إنّه ميز بين الواقع الحقيقى كما هو والواقع كما قد يكون مجسداً فى الأدب والشكل الصحيح عندئذ كما يراه "لوكاش" هو الشكل الذى يعكس الواقع بأكثر الطرق موضوعية.» (المصدر نفسه: ٤٩-٥٠)

جلّ شعراء العرب كانوا يهتمون بالقضايا الاجتماعية وما تعايشهم من صراعات اجتماعية وسياسية ... إلخ فهم يلتزمون بهذه القضايا، كما سار على هذا النهج الشاعر الفلسطينى هارون هاشم رشيد[١] باعتباره شاعر عاش فى بطن مجتمع يهدف إلى التطور

١. شاعر فلسطينى وُلد فى مدينة غزّة عام ١٩٢٧م، «نشأ الشاعر فى أسرة محبة للأدب والمطالعة، وعملت على تشجيع أبنائها، فأخوه الأكبر على كان شاعراً وله العديد من الأعمال الشعرية والمجموعات القصصية.» (جواد، لاتا: ٤٤٣) وأنهى المرحلة الابتدائية والثانوية فيها عام ١٩٤٧م، وبعد حصوله على الدبلوم العالى لتدريب المعلمين من كلية غزة، عمل فى سلك التعليم حتّى عام ١٩٥٤م. رحل عن غزة بعد حرب ١٩٦٧م حين أجبرته السلطات الإسرائيلية على الخروج منها، متجهاً إلى القاهرة، ليعمل ممثلاً لفلسطين فى جامعة الدول العربية، وكان يتمتع بـ«قدرة على فهم الحياة من كل جوانبها وهو أكثر شعوراً من غيره بلذة الإعراب عن مشاعرها المكبوتة وعواطفها المدفونة وما فى طواياها من لوعة وحزن قد يكون أعمق من أن تفيض لأجله الدموع.» (عبدالمنعم، ١٩٧٥م: ١٩١) إنّه منذ البداية كان ←

نحو الأفضل فشارک مجتمعه فی الأحداث والتطلعات التی جرت ونوی نحوها. فاستمد من بیئته المضامین التی تعکس الواقع، فشعره یخدم غایة اجتماعیة حتی صار صوتا له دوی تجلی فی رسم الظلم السیاسی والاجتماعی الذی یعانی منه أبناء جلدته. صور شعوره فی شعره الحالات الاجتماعیة للاجئین وتشریدهم فی مخیمات الذل والشقاء، ویری بأنّ هذه المأساة جرح للمجد العربی الذی لا یقبل الذل، کذلک أشار إلی مؤامرات الدول الاستعماریة والقوی الغربیة التی احتلت موطنه، فرسم جراح مجتمعه علی جدران الورق، وجسد الحیاة الاجتماعیة فی نصّه وعکس سمات المجتمع الذی یعیش فی کنفه معبرا عن قیم إنسانیة مثل العدالة والحریة ومحاربة الظلم، فالمجتمع الذی ینتمی إلیه هاشم دفعه لخلق ما نجده فی شعره، لذلک ولأهمیة العناصر الاجتماعیة فی الأدب تهدف هذه الورقة بدراسة الواقعیة فی أشعار هارون هاشم رشید علی ضوء نظریة "جورج لوکاش" فی علم الاجتماع کما ظهرت عیناتها فی صورة اللاجئین والاستعمار والمناضلة الفلسطینیة ومکافحة الظلم وفقدان الحریة والعدالة الاجتماعیة ...وإلخ فی شعره، وعناصر رسمت صورة عن المجتمع الذی فقد فیه الفرد حریّته وأمنه مع آماله وأمنیاته.

أسئلة البحث

- کیف عکس هارون هاشم حقائق مجتمعه بناء علی سمة انتصار الواقعیة؟
- کیف استطاع الشاعر إبراز السمة الشعبیة من خلال دواله؟

فرضیات البحث

- یرسم الشاعر حقائق مجتمعه مثل حالة اللاجئین، والاستعمار والمناضلة الفلسطینیة وظلم العدو الصهیونی وفقدان الحریة بصدق وإخلاص فهو لا

شاهداً علی مأساة ومعاناة الفلسطینیین وکان یحاول أن یرسم تلک الأحداث والمصائب عبر دواوینه الشعریة فکان «حدثاً ملفتاً فی تاریخ الشعر الفلسطینی، إذ أنّه یکون أول شاعر یکرّس شعره لوصف اغتراب الفلسطینیین الجسدی والروحی.» (الجیوسی، ١٩٩٧م: ٢٤٥) فأشعاره تنعکس صورة صادقة للثورة الفلسطینیة وحق العودة ومواجهة الاحتلال وکذلک طبیعة الحیاة فی الأرض المحتلة وأعماله الشعریة لها دور کبیر فی بناء شخصیة أبناء شعبه وآمالهم وتطلعاتهم.

يتصرف حسب إرادته بل يترك مواقفه وأغراضه جانباً، ويصف الحقائق التى لمسها عن كثب.

- إنّ الشاعر من خلال تأثّره بالبيئة الاجتماعية استطاع الوصول إلى عمق آلام الشعب، ودائما تحدّث عن أكبر المشاكل التى واجهها الشعب، ورغم كل الضغوطات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية استطاع إيقاظ الشعب بأغانيه الشعبية.

خلفية البحث

من الدراسات التى أنجزت حول الواقعية وعلم الاجتماع وهارون هاشم رشيد نشير بتلخيص إلى:

- "**منهج الواقعية فى الإبداع الأدبى**"، كتاب لصلاح فضل نشر عام ١٩٨٠م، بدار المعارف، قدم فيه عرضا وافيا لمفهوم الواقعية ونشأتها حيث يعرض للمراحل الأولى والمبادئ النظرية التى اعتمدت عليها. فضلا عن مراحلها المختلفة، كما يتابع تاريخ الواقعية خارج فرنسا فيميز بين موقفين مختلفين فى البواعث والنتائج، فسلط الضوء على الظروف والمناخات التى تزدهر فيها عادة بذور الواقعية مما يساعد بشكل فعال فى آية محاولات جادة لاكتشاف أبعادها فى المجتمعات الأخرى خاصة فى العالم العربى الذى تم التلقيح الواقعى فيه بعد قرابة قرن كامل من نشأة المذهب فى أوربا وإن كان بحثه عام وشمل قاطبة الأقطار العربية وميزنا بحثنا عنه بالتركيز على شاعر واحد وبلد واحد مع مقتطفات ضمن شعره.
- كتاب "**دراسات فى الواقعية**"، لجورج لوكاتش طبع عام ١٩٨٥م، ترجمة نايف بلّوز، نوه المفكر الماركسى لوكاتش فى هذا الأثر إلى دراسات وأبحاث عن الفلسفة الواقعية، كما نجد نقده مؤثراً فى مدرسة الواقعية الأدبية، منذ عصر النهضة ومرورا بفنكلمان (Winckelmann) حتى هيغل (Hegel)، كما نصت فصوله على دراسات حول المثل الأعلى للإنسان المنسجم فى علم الجمال البرجوازى والسيماء الفكرية للشخصيات الفنية والصراع بين الليبرالية

والديمقراطية وفى الفصل الرابع عنونه بالمسألة تدور حول الواقعية ودرس فيها الواقعية ومبينا أسسها ومؤكدا على أن التطور والمثل الأعلى الإغريقية كانت تعود إلى واقع حقيقى أنجبها، وتطور بلاد اليونان فى عصرها الذهبى يعود لأسباب وبنا اجتماعية –سياسية،كما حثنا هذا المصدر فى رصد الأحداث وتطور المدلول عند هارون فى مجتمعه العربى.

- كتاب "**علم الاجتماع الأدبى**"، لأنور عبدالحميد الموسى، نشر عام ٢٠١١م، وتطرق الكتاب إلى التعريف بعلم الإجتماع الأدبى وأثره فى الأدب، بوصفه "ثمرة" تدخل علم الاجتماع بالأدب، ذات منهج سوسيولوجى فى القراءة فضلاً عن التعرف إلى تاريخ هذا العلم وتطوره، وصولاً إلى الأزمنة الحديثة، مع أنه قسم الكتاب على سبعة فصول مع دراسة أشهر الاتجاهات فى الدراسات السوسيو-أدبية، ومتفرعات علم الاجتماع الأدبى؛ كعلم اجتماع الإبداع الأدبى، وعلم اجتماع اللسانيات وعلم اجتماع النشر الأدبى مما يختلف مع عملنا على التركيز على قضايا عامة وعملنا على شخص خاص.
- كتاب "**اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع**"، لعبدالباسط عبدالمعطى، طبع عام ١٩٨١م، درس الكاتب فى ستة فصول نظرية علم الاجتماع موضوعها ووظائفها والاتجاهات النظرية المعاصرة وكذلك أهم روّاد علم الاجتماع مع الاتجاهات المحافظة فى علم الاجتماع المعاصر وملامح علم الاجتماع فى الوطن العربى استطلاع انطباعى مما يعد هذا الكتاب مكملا للنظرية اللوكاشية وفاتحا بعض الأفق نحو دراسات علم الاجتماع لكن ورقتنا أخذت تيار منه ومشت فى إطاره عند شعر هارون.

الدراسات التى عالجت شعر هارون هاشم رشيد هى:

- مقال "**دراسة أسلوبية فى قصيدة وردة على جبين القدس للشاعر الفلسطينى هارون هاشم رشيد**"، لفائزة پسندى والآخرين، مجلة اللغة العربية وآدابها، ١٤٣٧ق. استهدف هذا البحث دراسه الظواهر الاسلوبيه البارزه فى القصيدة للوصول إلى تجليه القصيده بكل دلالاتها وجمالياتها وصورها واساليبها الفنيه

والتقنيه والبنائيه وأيضا دراسة الجوانب اللغوية والجماليات الأدبية بكل دلالاتها وصورها وأساليبها الفنية والتقنية لإظهار الفكرة أو جمالية التعبير الكامنة. وأيدت هذا القول النتائج الدالة على المستوى الدلالى والبلاغى والصوتى والتركيبى وإلخ، ومايميزها عن عملنا هى دراسة ذات طابع غالب شكلى كى تلج فى المضمون وورقتنا ذات طابع مشمونى سوسيولوجى.

- مقال "**مثيرات التكرار الترنمى فى شعر هارون هاشم رشيد، ديوان وردة على جبين القدس أنموذجا**"، لرسول بلاوى، فصلية لسان مبين، ١٣٩٦ش. التكرار الترنمى فى هذا الديوان يعكس لواعج الشاعر وهمومه الصادقة تجاه الشعب الفلسطينى، كما له مثيرات تتعاضد مع الدلالات التى يريد الشاعر التعبير عنها. مما رست بعض النتائج على أن أن التكرار فى هذا ديوان مغيراً للانتباه وداعياً للإهتمام وقد حقق تفاعلاً عاطفياً وشعورياً وإيقاعياً مع المتلقى. كما لواعج الشاعر وهمومه الصادقة تجاه الشعب الفلسطينى المضطهد كما له مغيرات ترنمية تتعاضد مع الدلالات التى يريد الشاعر التعبير عنها.
- ومقال "**صورة اللاجئ الفلسطينى فى شعر هارون هاشم رشيد، ديوان مع الغرباء**"، لنجية فايز الحمود، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ٢٠١٣م. تصوّر هذه الدراسة معاناة الاجئين وعذابهم النفسى ومأساتهم فى المخيمات والكهوف ثم تحدثت عن الحالة الاجتماعية للاجئين فى شعره وعن إصراره على العودة والمقاومة وكذالک بيّنت حنين الشاعر إلى وطنه. فهذه الدراسة لمحت لصور شتى دون التركيز على إحداهما من المعانات واللأجئ الفسطينى فهى رسمت الملامح بصورة خاطفة مما أكد عملنا عليها من منظور علم الاجتماع وأثره على الشاعر.
- رسالة ماجستير "**الأبعاد الموضوعية والفنية فى شعر هارون هاشم رشيد**" لنساء بيارى، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٦م. تشير الدراسة إلى الأبعاد الموضوعية لشعره منها: البعد الذاتى، والبعد الوطنى، والبعد القومى، والبعد الإنسانى والأبعاد الفنية منها بناء القصيدة، ودراسة اللغة والصورة الشعرية والموسيقى

الشعرية وهذه الدراسة تعد مسيرة متناسقة فى بعض الجوانب فى إشاراتها العامة لشعر هارون مع أن العمل المذى قمنا به مركزا بصورة خاصة على الأبعاد السوسيولوجية المؤثرة فى الانتاج الأدبى لهارون. فبعد التصفح فى الدراسات والمكتبات لم نجد ورقة تدرس الواقعية فى أشعار هارون هاشم رشيد على ضوء نظرية جورج لوكاش لأجل هذا تعد هذه الدراسة جديدة.

الإطار النظرى للبحث

سيطر جورج لوكاش على مجمل سوسيولوجيا الأدب فى القرن العشرين لأنه ربط «عظمة الأدب بأداء مهمة تجاه المجتمع؛ حيث يؤكد أنّ الأدب العظيم بحق يكشف للإنسان عن الإمكانيات الكامنة فى أعماقه والتى يمكنها أن تتحول من خلال أفعاله إلى واقع، كما يشير إلى أهمية احتفاظ الأدب بطابعه الجمالى.» (حسانين، ٢٠١٩م: ١٠٣) فالأدب فى أجناسه المتوعة يشكل إنتاجا رمزيا له معان فمن الضرورى «الاستفادة من إمكانيات العلوم الاجتماعية ومعطياتها، لدراسة نصوصه وآثاره وتحليلها ومعرفة جوانب مهمة فى حياة المجتمع الإنسانى، ويتجلّى ذلک فى اهتمامات لوكاش فى بعض كتبه.» (الموسى، لاتا: ٢٥٩) لأجل هذا يعد لوكاش من أبرز الواقعيين الذين يولون أهمية كبيرة للبحث عن العلاقات بين الأعمال الأدبية والقضايا الاجتماعية فى العصور المختلفة. واقعيته تشتمل على ثلاث خصائص بارزة هى: الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية والواقعية النقدية والشعبية.

الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية

يرى لوكاش بأن مفهوم الواقعية هو عبارة عن حجم دائرى ذات ثلاثة الأبعاد على نحو تام، ويتمتع بخصائص الحياة المستقلة والعلاقات الإنسانية فهذا النمط من الواقعية الذى يعرف بالـ"الواقعية الحقيقية"، فهو عبارة عن «واقعية تتمثل وظيفتها الرئيسة فى الكشف الصريح عن كمال شخصية الإنسان. إنّ الواقعية الحقيقية والعظيمة، تُصوّر لنا الإنسان والمجتمع ككائن موحّد؛ ولا يختصر الأمر فى ذلک على بيان بعض الخصائص المشتركة.» (گئورگ، ١٣٧٣ش: ٨-٩) انتصار الواقعية هى إحدى السمات الّتى تفرّدت

بها الواقعية عند لوكاش، فهى «بحدّ ذاتها قضية تتجذّر إلى خلق الفنّ الواقعى. إنّ هذا الموضوع، يمسّ جوهر الواقعية الحقيقية: تعطّش المؤلّف العظيم إلى استيعاب الحقيقة وحرصه على فهم الواقع، أو كما يقول علماء الأخلاق: صدق المؤلّف وإخلاصه.» (المصدر نفسه: ١٣) وبما أن انتصار الواقعية يمس جذور الإبداع الواقعى وهذا المفهوم يوضح معنى الواقعية الحقيقية إذا كان التطور الفنى عند كتّاب واقعيين بمستوى نبوغ بلزاك (Balzac) يدخل فى تناقض مع أحكامهم المسبقة العزيزة عليهم، أو حتى مع قناعاتهم المقدسة، فهم لن يترددوا لحظة فى أبعاد الأحكام المسبقة والقناعات ووصف ما يرونه فعلاً، وهذه الصرامة بخصوص تصورهم الشخصى المباشر والذاتى للعالم هى أعمق الأخلاق الأدبية لدى الواقعيين الكبار، والمناقضة جذرياً لهؤلاء الكتّاب الصغار الذين عملياً ينجحون دوماً فى وضع تصورهم للعالم فى تصالح مع الواقع، أى فى فرضه على صورة الواقع المشوهة والمزيفة. وهذان القطبان فى أخلاقية الكاتب هما فى علاقة وثيقة مع الثنائية القائمة بين الإبداع الحقيقى والإبداع المزيف. (جورج، ١٩٨٥م: ١٩) وبالتالى لا نكاد نجد كاتباً واقعياً يعمل على تحديد تكامل بطله كما يشاء، أى يتنحّى عن تصورّه الشخصى ومواقفه وأغراضه، ولا يعمل سوى إلى تصوير الواقع فى إنتاجه الأدبى ويصف ما يراه حقّاً.

الواقعية النقدية

لوكاش هو أحد أبرز المنتقدين فى مجال النقد الاجتماعى عبر التأريخ، أمّا أهميته فتكمن بشكل خاص فى دراسته للعلاقات بين الأعمال الأدبية والقضايا الاجتماعية فى ذلك الوقت وتعدّ الواقعية النقدية هى إحدى الخصائص التّى تتمتّع بها الواقعية عند جورج لوكاش لأنّه يرى بأنّ «العمل الواقعى يجب أن يزيل الستار عن المفارقات والتناقضات الاجتماعية. ويكشف عن خبايا الأزمات والمشاكل الكبرى التى تعصف بالمجتمع.» (شميسا، ١٣٨٥ش: ٢٩٠-٢٩١) وواحدة من ميزات الأدب النقدى أن يعبّر عن القضايا والأحداث على مستوى أعلى ويدخل فى عمق جذور الآلام وتصرفات الناس.

الشعبية

"الشـــعبية"؛ هى الســـمة الأخرى للواقعية عند "لوكاش" وبناء على ذلک، يجب أن يكـــون الأدب يتداوله عامة الناس حتى يكون أدبـــا حقيقيا فلهذا يجب أن يكون فى الأدب عينات تدفع الناس أن تتداوله ويشـــد على ســـاعد الشاعر والمسرحى ألمانى برتولت بريشـــت (Bertolt Brecht)، (١٨٩٨ –١٩٥٦م)، فى مهمة التحفيز لدى الأدب «وبفضل مثل هذه المهمة، يجب أن يكون فى الأدب ما يدفع الشعب إليه، لكن معنى أن يكون أثرک شعبياً يجذب النّاس، لا يعنى مناقشة القضايا المختلفة بصورة غير مصقولة وبعيدة عن التنقيح والتأمّل الأدبى. شعبية الأدب الواقعى والعظيم؛ يجب أن يعتمد على التعبير عن القضايا الحقيقية على أعلى مســـتوى ممكـــن ويصل إلى أعمق جذور الألم والمشاعر والأفكار والأفعال لدى الإنسان.» (گئورگ، ١٣٧٣ش: ٢٦٣) فإضافة على ذلک إنّه يحمل كبار الواقعيين مهمة الحديث عن الشـــعب و قضاياه عن أكبر المشاكل المعاصـــرة حياته حتى تكون «مغالاتهم وتفخيماتهم الأدبية فهى دائماً متســـمة بهموم الشعب وآلامه، ويحسون بعمق الآلام اللاحقة بكل طبقات الشعب، وهذه تحدّد موضوع ووجهة حبّهم وكراهيتهم، وعبر هذه المشاعر يتحدّد ما يدركونه فى رؤياهم الشعرية.» (جورج، ١٩٨٥م: ٢١-٢٢)

القسم التحليلى

الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية

إنّ "هارون رشـــيد" هو الشـــاعر الّذى دفعته الظروف الاجتماعية فى عصره إلى المشاركة الكبيرة فى الأحداث الّتى مرّ بها شعبه ذلک الحين وهذا ما أشار إليه لوكاش «يتبين لنا مدى واقعية الأديب بالنســـبة إلى آراءه من خلال مستوى تطرّقه إلى الحياة الاجتماعية ومشاركته فى النضالات القائمة فى البيئة الاجتماعية، أو أنّ الأديب يعيش بـــين النّاس ويناضل، أم يكتفى بالنظر مراقباً من بعيد؟.» (گئورگ، ١٣٧٣ش: ١٤) إنّه ظلّ يعبّر ويصدق عن قضايا مجتمعه والأحداث المريرة الّتى كان يشهدها عن كثب؛ لأنّه عانى كثيراً من هذه المآسى والحوادث الأليمة الّتى لحقت ببلاده.

الحالة الاجتماعية للاجئين

إنّ قضية اللاجئين فى المنفى من أهم القضايا التى تطرق إليها الشـــاعر، فقد رسم العذابات الحقيقية والآلام والمأساة التى يعيشـــها اللاجئون: «يمرّ العام إثر العام/ فلا أملٌ ولا بشرى/ ولا نجوى ولا سلوى/ سوى الآلام والشجن/ سوى الأحزان والمحن/ سوى صوت من الأقدار/ يهتف دائماً وطنى.» (رشيد، ١٩٨١م: ٢٤) ينوه الشاعر على أن اغتراب ونأى اللاجئين عن الوطن قد طال هذا البعد؛ فإنّ السنوات تمضى، الواحدة تلو الأخرى، لكن لم يتغير شـــىء، فإنّهم يعانون من الآلام والشـــدائد. ولا شىء آخر ســـوى بعض الصرخات التى تُنادى بالوطن. فهذه الحالة لن يعبر عنها شاعرا إلا كان ملتزما بوطنه وأهله ولأن النظرة الاجتماعية المتدفقة بين شـــرايين الأبيات تحيلنا نحو المنظار الاجتماعى مفسرة الواقعية التى ترسم مشاهد اجتماعية لحالات وسيكولوجية الشـــخص الفلسطينى حينما يكون بعيدا عن منبت الزيتون وفى هذا الإطار نجد دبدبة الحنين والعاطفة التى تأخذ مشـــربها من الشارع الفلسطينى ويجسد ويلات وصرخات أطفال وطنه ويدمجها بصوت الوطن لأن الحالة الاجتماعية التى كان يعيشـــها اللآجئ الفلطسطنى كارثية ومأساوية وانعكس صداها فى صوت أشعار هارون. فإضافة على ما أصاب الشاعر من همّ التشرّد والنزوح، يجسّد تأثير القضايا الاقتصادية على معيشة اللاجئين ويصوّر ظروفهم المأســـاوية فى المجتمع ويقـــول: إنّ اللاجئ مثله مثل الطائر بجناج مكســـور، لا يزال يبحث عن موطنه ويأمل كلّ الأمل كى يأخذ لقمة عيشه من أيادى المحسنين؛ ذلك النازح المشرّد الّذى تعرّض لضغط جرّاء الفقر والجوع والعجز:

إلى أين أمضى مهيض الجناح أفتّشُ فى الكون عن موطنى
تلفتُ فى لهفـــة الجائعين إلى لقمة العيش فى يد محسن

(المصدر نفسه: ٦٩)

صورة مأســـاة اللاجئين فى المخيّمات احتلت حيّزاً كبيراً لدى شعراء بيت المقدس «وقـــد لانكون مبالغين إذا قلنا أنّ الأدب الفلســـطينى كلّه برز كجزء من أدب اللجوء وليس العكـــس، اتّضح ذلك فى معظم المواضيع المطروقة من أديب فى الشـــتات، أو أغنية خرجت من مخيّم أو مدينة فى فلسطين، فكلّها تدور حول محور واحد، وهو البقاء

وحلم البقاء فى فلســطين، وبمعنى آخر الصمود والعــودة.» (الحمود، ٢٠١٣م: ٤٠) إنّ هاشم رشيد شاعر عاش معاناة اللاجئين وصوّر لحظاتهم فى نصوصه الشعرية. مستغربا لفرحة فى خيمة مظلمة، وقد خذله الاحتلال لكى يعيش بائســا، بقصيدة ذات مضمون اجتماعى حيث نجد صورة اللاجئين المأساوية تمثّل نموذجاً عاليا فى طياتها:

أعيد الفطر، هل للّاجئ المحروم من فطرٍ؟ وقد أسلَمهُ العاتون..للأسقام والفقر..
يلوذُ بخيمة سوداء، فى إظلامة القبر فلا تحميه من برد، ولا تحميه من حرّ

(رشيد، ١٩٥٤م: ٤٨)

فهذه الصورة النابعة بأســلوب الاستفهام والبراءة ترسم آهات وزفير مواطن أرغم على الخروج من بيته ووطنه ودون شک شاعر كهاشم لاتفوته هذه الفرصة حتى يلتقطها لأنها تكررت عدة مرات فى حياته فهى صورة نابعة من لاشعوره ولاشعور كل فلسطينى مشرد وهذا ما أمر لا مناص منه المخيمات. يقدّم الشاعر قصيدة "أعيد الفطر"، لأخوته اللاجئين الذين يطالعون العيد بحســرة ولوعة ويرثــى لحال هؤلاء الذين أجبروا على ترک وطنهم. إنّ العيش فى خيمة لا تمنع الحرّ والبرد يشــير إلى معاناة جسدية يلاقيها اللاجــئ وقد ذاق مــرارة العيش فى غربته لكنّه صامت يصــبر على هذه الآلام. إنّ الشاعر مغرق فى قمة الحزن عندما يرى ترحيل أهله عن أراضيهم ومسكنهم فى الخيام الســوداء التى تعبق بذلة والهوان. فلا الفقر والسقم والخيمة السوداء كظلمة القبر يمكن أن تنال من عزيمتهم. فالشــاعر بموضعه هذا يلتزم بقضايا وطنه وما يعايشه من صراع اجتماعى لذلک نرى شعوره وألمه المأســاوى تجاه الفلسطينيين اللاجئين. ففى قصيدة "غرباء" تتجسّد مأساة اللاجئين (الغرباء):

غرباء، فى الكون أنّى مشينا ولأى مــن البــلاد أتينا
غرباء وخلفنا الوطن الحر ينادى ...أيان شعبى..أينا؟
غربــاء، وكل ذنــب كبير ألصقوه بنــا، وقالوا..فعلنا
غرباء، حتــى كأنّ الليالى لم تسم غيرنا شقاء وحزنا

(المصدر نفسه: ٩٨)

حزن وحرمان اللآجىء من الوطن والحياة الكريمة وحبّهم إلى أرضهم التى أصبحت

مصدر الحلم بالعودة. فى هذه القصيدة يكرّر الشـــاعر كلمة غرباء ٢٤ مرة، فقد كرّر فى بدايـــة كل بيت لفظة "غرباء" للدلالة على فقدان الحرية والتشـــرّد بلا مأوى ولا وطن والمرارة التى يعانيها اللاجئ الفلسطينى بعيدا عن أرضه، فيأتى استخدام الشاعر لكلمة "غرباء" بطريقة تعمّق إحساسهم الحزين بالغربة الداخلية وغربة الروح وغربة الرحيل عن الديار وعدم القدرة على الانسجام مع معطيات الواقع الحالى، فالنزوح عن الوطن تجربة تحمل فى طيّاتها مرارة الفراق ولهفة المشـــتاق. فها هو اللاجئ الفلسطينى الذى يتحدث عن حياة التشـــرد رافضا الوضع الذى أجـــبر عليه، فظاهرة التكرار فى بداية النص الشـــعرى يعمّق آلام الغرباء وصرخاتهم التى يرددونها ليســـمع الناس فى أنحاء العـــالم عبر إيقاعـــات متوالية. ما نجده فى صرخته بدال "غربـــاء" يحيلينا إلى أن هذا الشـــاعر كم عان لفقدان وطنه وكم سمع هذا الصوت من قبـــل أبناء جلدته لأن الفرد الفسطينى يولد غريبا ويموت غريبا كما تؤيد هذه الحالة الحالات المذكورة فى الإعلان وســـجلات كثير من الشخوص فهذه الهمســـهات والويلات أخذت مجراها فى قصائد هارون دالة على مشـــارمة الشاعر فى حزن وغربة اللآجئين وبيان رسالة الشاعر فى رسم ملاح صورة أهله الاجتماعية.

الاستعمار

يبدو أنّ المشـــكلة الكبرى التى تواجه مجتمع الشاعر هى الاستعمار الذى دلّ عليه ببعض بنات شفاه لأن «يتناول كل كاتب واقعى حلاً للمشكلة الأساسية بطريقة مختلفة، حسب عصره وشخصيته الفنيّة ولكن ثمة بينهم نقطة مشتركة: التجذّر فى مشاكل عصرهم الكبرى والتصوير القاســـى لجوهر الواقع الحقيقى الذى يرونه فى عصرهم.» (جورج، ١٩٨٥م: ٢٣) وهذه الصورة الســـيئة التى رسمها المتسعمِر فى ذاكرة المستعمَر تجلت فى طيات أوراق الكتاب ومنتوجات الشعراء فبرز المستعمر «فى الشعر بوصفه مخرّباً لكلّ القيم الأصيلة فى حياة الناس، فقد ســـعى نحو هدم البنـــاء الاجتماعى، ممثّلاً فى ظلم النـــاس، وهدم البيوت وإلقاء الرعب فى قلوب النـــاس عن طريق تهجيرهم. وكذلك برزت صورة المســـتعمر جلاداً وحارساً ووحشا. لأنّه عمد إلى أبشع الأساليب من قتل

وتعذيب وسجن ونفى وغيرها من الأعمال المشينة.» (الهوارى، ٢٠١٤م: ١٤٩-١٥٠) لقد انعكس هذا كلّه فى شعر هارون هاشم رشيد واستمرّ القتال بين الشعب الفلسطينى، إنّه يذكر فى قصيدة "القصة" ما شاهده هو وأسرته من تدمير وتخريب، فرغم مرور عشرين عاماً على تلك الأحداث والمصائب المؤلمة إلّا أنّه يشعر وكأنّها حدثت بالأمس القريب:

قصة قد حدثتْ.. بالأمس من عشرين عام — حدثت فى عهد الاستعمار، فى عهد الظلام
وقفتْ أمى وقالــتْ: مالذى تبغون منّى — ارحموا فقرى، وآلامى، وأحزانى، وسنّى
أين يا أم ترى زوجک أمسى.. أين سارا؟! — أ ترى تدرين، فى أى مكان قد توارى؟!
ثمّ قالــتْ فى ذهــول: إنّنــى لا أعلم — لســت أدرى: أين قد سار؟ ولا ما يجزم
ومشــى الجند.. مشــوا من فــوق أمى — وأنا أصرخ، مــن رعب، ومن بؤس ملم

(رشيد، ١٩٥٤م: ٥٠-٥٣).

يروى الشــاعر قصّة أُمه التى ماتت شهيدة بيد المستعمر البريطانى ويصف ملامحها وصفاً حزيناً مؤلماً، لأنّ ضابط الاســتعمار ســأل عن أبيه الذى حطّم المستعمر الجبار وهــدم الغاصبين فترد الأم أنّه لا علم لها، فأمر الضابط بإطلاق النار ومشــى من فوق أمه أمام طفل بائس فقير. فالشــاعر يشــير إلى الجريمة الإنسانية التى ارتكبتها جنود الاستعمار الإنجليزى بحق أسرته رغم وجود الفقر والآلام والرعب الذى كانت تعيش فيه أســرته، إنّ أُمه قد ناضلت نضالاً مريراً لمقاومة أخطار الاستعمار، وصمودها دليل واضح على رفض ممارســات الاستعمار الظالمة وشــدة تعلّقها ببلادها، فهنا يتحدّث الشــاعر صادقاً عن بطل زعزع قِلاع الاســتعمار وهزّ أركانــه. وفى منظار آخر لهذه المقطوعة نفكک شــفرات النص وتنقلنا الأحداث إلى أن هذه الأم ما هى إلى موطنه بيت المقدس والأطفال كلهم أبناء فلسطين والقراءة للنص تحيلنا مرة أخرى إلى اشمئزار هــارون من المحتل خاصة البريطانى فناضل أهله على أرض الواقع بأروحهم وفلذات قلبهم وناضل هارون بكلماته وبنات شــفاهه على القرطاس فهذا التناسق هو نوع من شد اليد على صوت الأنا.

عندما وجه آرثر جيمس بلفور (١٨٤٨- ١٩٣٠م)، بتاريخ ٢ نوفمبر/تشرين الثانى عام ١٩١٧م، رســالته إلى اللورد ليونيل دى روتشيلد أحد أبرز أوجه المجتمع اليهودى

البريطانى، وذلک لنقلها إلى الاتحاد الصهيونى لبريطانيا العُظمى وإيرلندا. نُشـــر نص الوعد (أو الإعلان) فى الصحافة فى ٩ نوفمبر/تشـــرين الثانى عام ١٩١٧. إنّ إعلان وعد بالفور كان خطوة لتشـــجيع العنف الاستعمارى ضد الشـــعب الفلسطينى، كانت بريطانيا قد منحت الصهيونية حق إنشـــاء وطن قومى لليهود فى فلســـطين التى كانت منطقة عثمانية ذات أقلية يهودية (حوالى ٣-٥٪) من إجمالى الســـكان. «يتآمرون على فلســـطين/ يتآمرون يســـاومون/ والخوف فى انجلترا/ فمضوا يحيكون الدسائس/ فى معاهدة لئيمة /لفنائنا ولقتلنا/ بالفور يا بلفور/ كل العرب لن ينسوا أساک/ يا بئس ما ألقى لســـانک/ بئس ما خطت يداک.» (رشيد، ١٩٨١م: ٢٩٩-٣٠٠) كان لهذا الوعد آثار طويلة الأمد كثيرة، فقد زاد هذا الوعد من الدعم الشـــعبى للصهيونية فى أوساط المجتمعات اليهودية فى أنحاء العالم، وقاد إلى قيام فلســـطين الانتدابية، وهو المصطلح الذى يشير حالياً إلى إســـرائيل والأراضى الفلسطينية. ونتيجة لذلک، فقد تسبّب هذا الوعد بقيام الصراع العربى الإســـرائيلى، الذى يشار إليه غالباً بأكثر صراعات العالم تعقيداً. ولا يزال الجدال فيما يخصّ الوعد قائماً فى كثير من النواحى، مهما يكن فهذا الوعد قد طمســـت هوية الإنسان العربى، ولم يترک له مجال سوى التشرد وأبدع هاشم حينما هجى آرثر بلفور دالا على واقعية الشاعر المستمدة من بطن المجتمع وألمه الذى يعيش معه. فالشـــاعر ابن البيئة وما يراه يرسمه بكلماته لأنه يحفز عاطفته ويهز وجدانه وإضافة إلى هذا نجد الاســـتعمار له أيادى كثيرة فى مســـتعمراته وفلسطين هارون لن تســـتثنى من هذه الحالـــة فمن منظار علم النفس وعلم الاجتماع لن يتخلى شـــخص ســـالم عن وطنه أو لاتأثر بسايكولوجيته الأحداث فى بلاده وكيف يكون إذا كان البلد فلسطين والشاعر هارون.

النضال الفلسطينى

البطولة تستلهم من النضال وهى ذات أبعاد شتى تتجلى فى تميز البطل على ساحة المجتمع والشـــاعر بصفته يخلق بطله إما بخياله وإما يأخـــذه من المجتمع الذى يعيش فيه لأنهم «يســـتوحون قيم المجتمع ومثله العليا وهم يحاولون تقريب صورته من صورة

الإنسان النموذج التى تعدّ المثل الأعلى فى ذلک المجتمع.» (الرقب، ١٩٨٤م: ٩٤) إنّ المرأة فى شعر الشاعر تصوير لبطولات المناضلات وكذلک تصوير لجماعة المجاهدين الذين سعوا إلى كفاح الأعداء ووقفوا فى وجههم، فالشاعر فى قصيدة "يا أنت يا سمر" يخاطب سمر العلمى، لبنانية الفلسطينية التى تخرجت بدرجة البكالوريوس فى الهندسة الكيميائية من جامعة كوليدج لندن وماجستير من إمبريال كوليدج بقيت خلف قضبان السجون البريطانية بعد حكم عليهم بالسجن لمدة عشرين عاما، بتهمة المساعدة فى تفجير السفارة الإسرائيلية فى لندن عام ١٩٩٤م، وهى التهمة التى فشل الإدعاء العام فى إثباتها، كما حرم المتهمين من حقهما الشرعى للدفاع عن أنفسهما، بالإضافة إلى رفض الاستئناف الذى تقدما به، فيدعوها بالصبر ومواجهة الصعاب بكل طاقة ويمجّد صمودها ومقاومتها الأبى أمام البطش: «فأنتِ فى صُمودكِ الأبى،/ عبرة العبرْ/ وأنتِ والأسرةُ فى عيوننا/ وفى قلوبنا، مدى العمرْ/.../فالانتفاضةُ التى من أجلها/ آثرتِ موقفَ الصُّمودِ والخطرْ/ تبقى أعز ما أبدعَ شعبُنا/ تجمّلى بالصبر، كم شعبكِ/ فى عذابه صبرْ/ ماذا أقولُ يا سمرْ!!/ قصّر الكلامُ واعتذرْ.» (رشيد، ١٩٩٨م: ٧٧-٧٩) تملک السجينة لهذه المرحلة القاسية من معنويات تستضىء بها طريقها ومستقبلها، وهى روح الصمود والنضال لأنّها تتحسّس فى هديها أهدافها وآمالها. إنّ أسماء مناضلات مثل "سمر" رمز للنساء الفلسطينيات يصبرن من أجل تحرير الأرض، فالشاعر يتغنّى بصمودها لأنّها استطاعت أن تقف فى وجه الأعداء على الرغم من المعاناة التى واجهتها فى السجن، وهذه فى فلسطين لن تعد ظاهرة جديدة لأن التاريخ الفسطينى ملىء من هذه الماجدات التى ناضلن العدو وساعدن الأنا وأن حتى يومنا هذا لن تتحرر فلسطين من الاحتلال لكن الذاكرة العالمية والتاريخية لن تنساها وأثر هذا نجده تجلى فى أشعار هارون.

إنّ مشاكل المرأة الفلسطينية ومآسيها صورة واقعية تلمسها العواطف والأفكار، وحبّ الأرض صورة ترسم ملامح جديدة للبطولة والتضحية. فى هذه الأبيات، يشير الشاعر إلى النساء اللواتى كن دائما داعمات لأزواجهن فى ساحة المعركة. النساء اللواتى حملن عبء تضحيات الجهاد، إضافة لدورها الداعم للرجال، تفتخر دائمًا باستشهادهم فى طريق كرامة الوطن. وتقول لأطفالهنّ إنّ والدک ضحى بنفسه من أجل

الوطن الذى ســـعى الذئاب الشّرد إلى تدميره. وتقول إنّ الاستشهاد هو الهدف الأسمى لمحبى الوطن، لذا افتخر بأب سيخلد إلى الأبد:

ستقولُ يا ولدى أبوك قد افتدى وطناً تَنَاوشَـــهُ الذئاب الشُّرَّدُ
طلب الشهادة، وهى أغلى غاية لأحبة، عشقوا المواطنَ وافتدوا
فارفعْ جبينک عالياً، ومُفاخراً بأبٍ على مرِ الزمانِ سيَخلُدُ

(المصدر نفسه: ٣١)

تبقى المرأة الفلســـطينية محور الصورة لما لها مـــن دور وفاعلية على طريق النضال ومواجهة الأعداء إلى جانب زوجها. وصورة الشهيد يمثّل قمة العطاء والفداء والبطولة فى مجتمع الشـــاعر، فهو يفنى لكى يصون حياة المجتمع من الفنـــاء. والمرأة تعود إلى معنى الفناء والعطاء فى ســـبيل إشـــراقة العيش وبزوغ فجر منـــير. ونجد بأنّها برزت أفكارها واهتمامهـــا بقضايا مجتمعها حثاً وتفاعلاً والاضطلاع بدورها الرســـالى فى الميدان الاجتماعى، فهى تغوص فى صميم أحداث وطنها وتكون صادقة مع ولدها كل الصدق فى التعبير عن آلام المجتمع دون أن يدفعها أحد إلى كذلک. وتؤمن بالمســـتقبل كل الإيمان وواثقة بأنّ شـــهادته تعنى الخلود والخلاص، شـــعره فى مجموعته ينبع من معطيات الحياة اليومية ومن الواقع المعاش، حيث نراه يقول إنّ ابنة الشـــهيد ذات يوم وقفت أمامى تبثّ أحزانها:

تُسائلُنى، التى فَقَدَت أباها وغامتْ، بالتَحسُّـــر مُقلتَاها
تُسائلنى،.. عن الوطنِ المفدَّى عن الأرضِ الحبيبةِ، عن سَماها
أحـــبَّ الأرضَ، غاليةً عليه وما يوماً، تخاذلَ عن نِداها
وتلسعنى ســـياطٌ من كلامٍ فيُعجزنى، ويَخذُلنى أســـاها
أنا بنتُ الشهيد، ومن كمثلى.. ببـــذل أبيه، معتـــزاً تباهى

(المصدر نفسه: ١١٩-١٢٠)

نرى فى هذه القصيدة أحزان ابنة شـــهيد فقـــدت أباها، وهى تعبّر عن الواقع الذى تعيش فيه وكذلک نرى التزامها بأرضها وحرصها عليها وحنينها إليها. إنّ تحمل فقدان الأب وكذلک تحمل أحزان كثيرة من جانبها، ممّا يوصلنا إلى حبّها الشديد تجاه وطنها.

فرغم السيئات التى لحقت بها فى الحياة الاجتماعية إلا أنّها تعتزّ بأب فدى نفسه من أجل وطنه المسلوب وكيف لا يصور هذه الصورة شاعرا اجتماعيا واقعيا كهاشم. ففى النضال الفسطينى يمكن أن نقول أن الشاعر لا إراديا أن شاء أو أبى تأثر من الحالة ويمكن القول أن الحالة هى التى كتب النص وتنويها لما أشار إليه لوكاتش أن النص يولد من خضام المجتمع وأن الينى التحتية هى التى تتنج.

مكافحة الظلم

يصوّر الشاعر فى قصيدة "رسالة الشهيد" هموم شعبه تصويراً صادقاً، معبّراً عن هذه المشاكل بأفكار واقعية، ففى هذه القصيدة يشير إلى قسم من العذاب الذى واجهه شعبه، السلاسل والسيوط شعار العدو الصهيونى الذى أجبرهم على ترك وطنهم، فيشير إلى جرائمهم وتصرفاتهم:

عشرون عاماً،والسلاسل فى يدى وكلابهم خلفى بلا استثناء
عشرون عاماً والسياط شعارهم أبداً على ظهرى وفى أحشائى
عشرون عاماً تائهٌ ومشردٌ مُتنقل فى البحر فى الصحراء

(المصدر نفسه: ٢٠)

واجه الفلسطينيون فى مدينة غزة كما فى القطاع كلّه مشاكل عديدة والمقاومة الفلسطينية فى غزة أعلنت منذ أيام وقوفها أمام الأعداء. نجد الشاعر يكرر دال "عشرون" عدة مرات مما يأخذنا إلى سويدات قلبه ونجد الآهات والحزن والكمد ينتشر فى التكرار وبعد ها يوضح لنا صورة الجلاد فهو يرسم لنا رحلاته التى بسبب ظلم الكيان الصهيونى على أجنحة الكلمات والحالة الاجتماعية البائسة التى عاشها الشاعر وأبناء جلدته توضح من خلال الدوال وهى "أظهر من الشمس"، كما يرى بأنّ المقاومة ستحافظ على قوّتها فى مواجهة أى عدوان وبما أنّ هذه المدينة خلعت الطغاة من الوطن، ولم تهدأ ولم تعتمد على أى ظالم، إنّ الشاعر يستحضر التاريخ فى شعره حين انتصرت مدينته على الظالمين، فماضى هذه المدينة يكشف عن هذه التجارب، المدينة التى طردت جيوش الصليبيين وغلبتهم وتخلّصت من هذا الجيش العظيم الصاخب،

فيقول الشاعر فى قصيدة "عودة الغائب":

هذى المدينةُ، ما نامتْ ولا رَكَنَتْ لظالمٍ.. واسألوا التاريخَ والكتبا
رَدَّتْ زحوفَ الصّليبيينَ وانتصرتْ عليهمو دَحَرتْ جيشاً لهم لَجِبا
ويومَ دقَ "هولاكو" بابها وقفتْ فى وجهه، تُعلنُ العصيانَ والغضبا

(المصدر نفسه: ١٤٢)

يوظّف شخصيّة تاريخية كـ"هولاكو" تصويراً لشدة ظلم واستبداد الأعداء وعذابهم، لأن هذه الشخصية فى الشعر العربى قناع التوحّش والدمار يستدعيها الشاعر من طيّات التاريخ ليرسم شدة الظلم والرعب والوحشة، فهذه المدينة من الماضى إلى الحاضر وقفت فى مواجهة الظالمين وأظهرت لهم غضبها وسخطها، فيرفع الشاعر صوته فى وجه الغزاة ويعتبر محاربة الظلم شعاره الدائم لأن واقع الحال ينتشر فى أنحاء القصيدة ويرمز لشدة المأساة لأن تصوير الواقع إحدى طرق النضال.

الحرية

الحرية تشمل التخلّص من العبودية سواءً للذات أم الجماعة ولكل منظر رأى فيها ولوكاش «يرى الواقعييون أنّ الطريق الملموس المؤدى إلى حل مشكلة الأديب لا يمكن ايجاده إلا بمحبة الشعب وبكراهية أعدائه وبنشر الحقيقة وفى نفس الوقت بالإيمان الراسخ فى تقدّم وانتصار الأمة على الأعداء.»(جورج، ١٩٨٥م: ٢٤). يصوّر مدى إيمانه العميق بالنسبة إلى مستقبل أرضه، مُشيراً إلى القهر ...

سكنتهُ إنساناً يموجُ طُموحُه لغدٍ يُضيءُ به، ويُسعدُه الغَدُ
لكنَّ ظلَّ الاحتلالِ، وقهرَه ينأى بأغلى الأمنيات ويبعدُ
لكنما الأغلى بلادٌ تُفتَدى وتحرُّرٌ يُرجى، وفجرٌ يُولدُ

(رشيد، ١٩٩٨م: ٢٣-٢٦)

وإن سيطر ظلال العذاب والاحتلال وقهره على شعره وابتعد الناس عن طموحاتهم لكن نجد عنده الإيمان بالمستقبل ونرى رغبته فى الثورة من أجل الحرية والوطن العزيز، يعدّ "الفجر" هنا علامة رمزية للحرية والانتصار فى المستقبل القريب. فهو يناشد نزار

قبانى حينما عبر على أن القضية الفلسطينية وحرية بيا المقدس فى قصيدة "أريد بندقية" تعبر من فوهة بندقية لأن الكيان الصهيونى الغاشـــم والمحتل لايريد بدائل وطرق سلام أخرى لتســـوية القضية فهو يريد محو الآخر وسيطرة الأنا من خلال الدبابات والقوات العســـكرية المدعومة من قبل بعض الجهات المعنية، وفى الأبيات التالية يعتبر الشاعر "الانتفاضة" إحدى طرق تحرير أرضه ويساهم فى تأييد حركة تحريرية لاستعادة أرضه الطيبة ونشر أنوار الصباح:

فالانتفاضة، تبقى فى توهجها حتّى تُحققَ منها النّصرَ والغَلبا
حتّى تعيدَ، أمانينا التى سُلبتْ حتّى تردَ الذى قد ضاعَ واغتصُبَا
مُبشّـــرٌ بصباح النصرِ فارِسُها والله ينصُرُ من لبى، ومَن طَلبا

(المصدر نفسه: ١٢٢)

يدعو مواطنيه إلى العمل من أجل إعادة فلســـطين العربيّة وأمانيها ويقول من دافع عن وطنه ينصره الله تعالى، ليست هذه الأبيات الشعريّة هى وحدها التى تزخر بالأمل ويظهـــر فيها التفاؤل، بل نرى فى الكثير من أشـــعاره التفـــاؤل الذى يبعث فى نفوس الشعب روح الكفاح والانتفاضة للدفاع عن فلسطين الجريحة التى احتملت من معاناة مـــا لم تحتملها من قبل أمة فيحثّ المناضلين على الاســـتمرار فى طريق الانتفاضة من أجل تحرير الأرض.

الواقعية النقدية

يعكس الشـــاعر مشاكل وأزمات أرضه، ويقوم بمهمته من خلال انتقاد الظروف غير المواتية لأرضه، فينتقد فى هذا القســـم سياســـات الدول الاستعمارية وحكام العرب، مصرحا بانعدام العدالة الاجتماعية.

نقد سياسات الدول الاستعمارية وداعميها

يخاطب فى قصيدة "رســـالة مفتوحة" القاضى البريطانى "باتريک جارلاند" الذى أصدر حكمه على "سمر العلمى" و"جواد البطمة" بالســـجن عشرين عاماً، فيروى فيها

مآسى الاستعمار وما فعله بحق شعبه: «يا سيدى..،/ ...إنّ فى بريطانيا،/ لها الجلالهْ..!/ وهى التى، قد أصدرتْ،/ أحكامهَا،/ وأملتْ الرسـالهْ../ أسأل:/ فى أى شرائع الدنيا،/ يُسلبُ وطنٌ بأسره/ ...فى أى شرع،/ يأكل الأغرابُ زادَهم، وخيرهمْ،/ وهم يجوعون، ويمرضون؟/...ماذا جَنى جوادُ؟/ ومالذى جَنَتْ سَمَرٌ؟!/ عشـرون عاماً، /كيف..؟؟/ من أينَ انتزعتَ الحُكمَ؟.» (المصدر نفسه: ٨١-٨٣) إنّ الشاعر ينتقد جنود الاستعمار لأنهم لم يكتفوا بهدم خيرات وتطلعات هذا الشعب بل تركوا لهم المرض والجوع وسلبوا وطن الفلسـطينيين بأسره، حيث شـرّدوا الآلاف من أبناء هذا الشعب فى كل مكان، بعدما طردوهم من بيوتهم، وغلبوا على أموالهم وسلبوا خيرات الشعب بالظلم، هذه الأعمال هى التى مارسها الاستعمار البريطانى تجاه الفلسطينيين وقد تأثّرت فى وجدان الشعب تأثيراً كبيرا وأصبحت جزءاً من عذاب مقيم وحياة مأساوية يعيشها الشعب الفلسطينى. إنّ هذه الأسـئلة التى يطرحها الشـاعر تدلّ على صحة مواقفه وافكاره حول أعدائه خاصة الاسـتعمار البريطانى فهذه الأبيات تبرز أهم مظاهر الالتزام الاجتماعى حيث يبيّن لنا هاشم رشيد أنّ أبناء شعبه هم يجوعون ويمرضون وهم فى السجون لعدّة سنوات، فيرفع صوته من أجل النداء على الحرمـان والظلم الذى يعيش فيه مواطنوه لأنه من الذين ذاقوا مرارة هذه النكبة، وشـاهد تشـريد وتقتيل أبناء فلسطين المنكوبة فيروى حكايـة الأيتام وحكاية الذين ثكلتهم هذه النكبة مخاطبا المسـتعمر: «وأنتمو، أمامنا، وخلفنا،/ وفوقنا، تُحاصروننا بالموت والخطر/...يا سـيدى القاضى../ هل سألوا ماذا تُرى قد فعلتْ/ بنا بريطانيا. والانتدابْ/ فدَمَّروا حياتَنا، وعَمَّمُوا الخرابْ/ أيها السيدُ/ أما شـعرتَ لحظة/ بعقدة الذَنب؟/ أما تذكرت للحظةٍ/ حكايـةً للثّاكلاتِ والأيتامْ؟/ أما رأيتَ طفلـةً، كما الصبيّة/ التى حاكمتَ، لا دارٌ، ولا أهلٌ/ ولاهويّةٌ، ولا أحلام؟.» (المصدر نفسـه: ٨٤-٨٥) يحاول هاشم أن يثبت هوية أبناء شعبه ويؤكد وجودهم تحت غبار هذه النكبة، إنّه لا يغمض عينيه على قسـوة الاسـتعمار بل يتوجّع لهذه الكارثة وينسج شـعره من أحزان الجائعين واليتامى وصرخات الثكالى فهو التزم بقضية وطنه بشعره الذى يشـير إلى معاناة الفلسطينيين الذين شـردوا من بيوتهم، كما يشير إلى عذابهم والدمار الذى عاشـوه مع ألم منزف. رغما من على المشاكل التى لقيها الشعب

جرّاء أطماع الاستعمار إلّا أنّ الشاعر حاول أن يقف أمام هذه المصائب وينقدها بنفسيّة أقوى، رافضاً جرائم الاستعمار الذى سلب ونهب أرضه، فجاءت لغته الشعريّة فى هذه الأبيات رافضة للتخاذل والواقع المرير فاضافة لذلک، التيتم قضيّة إنسانية اجتماعية وهى أكثر معاناة يعيشها الأطفال، فهو مثير للرأفة، فالشعور الإنسانى والاجتماعى يجبره أن يكون داله عالميا، فتكرار "نا" فى (أمامنا، خلفنا، فوقنا، تحاصروننا، حياتنا) يريد أن يوجه رسالة إنسانية عامة على أنّ هذه المشاكل والمأساة للشعب الفلسطينى كلّه. لأنّ هذا الشعب قد ذاق من جرّاء مؤتمرات الإنجليز العذابات التى لا تعد ولا تحصى فى قصيدة "حيفا" يصرخ هاشم:

لولا خداع الانجليز وغدرهم ما عاث فى غاب الأسود كلاب
الإنجليز وكل شعب صارخ ويلاه منه فإنّه كذّاب
والغرب ويا للغرب إنّ قدومه نحو البلاد مصيبة وخراب
هو «أخطبوط» فاجر مستعمر فى كل ناحية له أذنابُ

(رشيد، ١٩٥٤م: ١١١)

هذا الشعور المتأرجح فى ضمير الشاعر على ما أصاب بيت المقدس من جرائم واحتلال غاشم يولد «عند الشعب ردة فعل طبيعية للوقوف فى وجه المستعمر، شعور النخوة والشهامة، والعزة للدفاع عن الوطن واسترداده ولا غرابة أن يتفاعل الشعراء مع هذين الشعورين فيصوّروا الحزن والألم والحقد، فتقطر الأشعار شجناً ولوعة.» (الحمود، ٢٠١٣م: ٣٤) يرى هاشم بأنّ الإنجليز من أصحاب الخدعة ويقول لولا خداعه ما عاث الأعداء فى بلادنا، لقد منحنا الغرب المصيبة والدمار بخطواته، إنّ الغرب مستعمر فاسد له مرتزقة فى كل مكان، وهذا الموقف يحيلنا لما ذكره حافظ إبراهيم مخاطبا سعد زغلول وعندما نجى من محاولة اغتيال فاشلة مستعمرة.

لاتقرَبُ التآميزَ وإحذَرْ وِردَهُ مهما بَدا لکَ أنّهُ معْسولُ
الكيدُ ممزوجٌ بأصفى مائهِ والخَتلُ فيهِ مُذَوَّبٌ مصْقولُ

(إبراهيم، ٢٠١٣م: ٢٩١-٢٩٢)

فالشاعر يعتبر الغرب شريكاً فى المؤامرة الاستعمارية للصهاينة ويعتبر أنّ الإنجليز،

السبب الرئيسى لمأساة فلسطين ومتاعبها كما كانت نفس الخطة مطروحة عند أبناء النيل، فأسلوب شرط "لولا خداع الإنجليز..." تعبير عن مدى ظلم ومؤامرة ارتكب الإنجليز بحق الشعب الفلسطينى، هكذا يظهر الشاعر نظرته النقدية تجاه تصرّفات الدول الاستعمارية وأنصارهم وما فعلوا بحق الشعب الفلسطينى المناضل.

حكام وقادة العرب

كانت الدول العربية بعض الأحيان متماشية مع سياسات الدول المستعمرة الغربية بالنسبة إلى قضية "فلسطين"؛ فكان لهذه الدول، دور كبير فى ضياع هذه الأرض والمشاكل الّتى تُعانى منها أرض فلسطين؛ رغم أنهم تظاهروا بعضهم بدعم الشعب الفلسطينى فرشيد هاشم يبدى صرخته فى مواجهة حكام العرب وقاداتها ويعبر عن غضبه وكراهيته؛ مظهرا أنّ نزاعهم ودعمهم ليس من أجل تحرير فلسطين من أيدى العدو، بل بسبب مصالحهم فينتقد الحكام:«أ لأجلنا تقاتلون؟/ لأجلنا هذا النزاع؟/ أ لأجلنا هذا التسابق/ فى التسلح والصراع/ أ لأجلنا دوى النداء؟/ يدعو لأنقاذ الضحايا/ اللاجئين من الضياع/ أ لأجلنا تنهال دولاراتكم؟/ دون انقطاع/ كيما يصفّى أمرنا/ ويقال قد فُضّ النزاع.» (رشيد، ١٩٨١م: ٣٣٩) هناك تناقض فى سلوك هؤلاء الحكام، رغم أنهم يتظاهرون بإنقاذ الضحايا واللاجئين من الدمار، لكنهم فى الداخل يسعون إلى تسليح أنفسهم وتأمين مصالحهم، فمن ناحية قادة العرب قلقون بالنسبة إلى الأمن فى بلادهم، ومن ناحية أخرى، إنّ سلوكهم وسياساتهم الحيادية تُعرّض أمن الأراضى الفلسطينية للخطر؛ وبالتالى يمكن أن يكون هذا التناقض علامة على زيف إدّعاءاتهم، فى أبسط مقاربة، إنّها حقيقة لا يمكن إنكارها فى مجتمع الشاعر فمن هذا المنطلق، هذا السلوك والتفاعل لن يثمر أى فائدة سوى الرثاء والتظاهر؛ لذا يشير هاشم إلى هذه المفارقة القائمة بين سلوكهم وآرائهم وينتقدهم نقداً لاذعا، ويوجه رسالته التى تنص عن ما يجول فى خاطره والمجتمع الذى عايشه وتعايش معه وعاش فى بطنه أرغمه أن يرسل رسالته إلى رأس هرم القدرة ويتقبل ما يصيبه لأن حاله أصبح كحال غريق "والغريق يتشبث بكل حشيش". كما فى قصيدة "الجثمان الحائر"

يصوّر الشـــاعر موقفه الإنسانى والسياســـى عندما يقول لماذا بعض الحكام والأنظمة العربية تمنع وصول جثمان الشهداء إلى الأوطان، فكيف لحاكم عربى أن يمنع جثة شهيد مـــن أن تدفن فى أرض عربية للتخلّص من بلاد الغربة كما حدث مع جثمان الشـــهيد، يقول الشـــاعر: «يا عبدالمحسن../ جُثمانک/ فى أبواب الدول العربية/.../ هذا الجثمان الطاهـــر../ طوّاف فى أبواب الدول العربية/ حائر../ من يفتحُ قبراً/ للعائد/ من أقصى الدنيا/ للفارس/ عبدالمحسنِ../ من يمنحُ هذا الثائر/ شبرا../ من يمنحه قبراً../ من يمنحه الأمرا../ من بالعائد أحرى/ من يا أمتنا الكبرى؟!.» (رشـــيد، ١٩٩٨م: ٢٣-٢٥) على الرغم من أنّ هذا النوع من الســـلوک تجاه الفلســـطينيين مخالف للقانون والقيم، إلا أنه أمر وقع لدى المنظمات العربية وحكامها واضعا الشاعر علامة استفهام كبيرة فى ذهن المتلقى قائلا كيف يســـتطيع حاكم أن ينكر وطنيّة هذا الثائر المناضل، وهو ينتمى إلى أرض جاهد واستشهد فى سبيلها وفى سبيل تحريرها فهو يرفض سياساتهم وتصرّفاتهم الظالمة تجاه الشـــعب الفلســـطينى وينتقد الحكام الذين تجاهلوا دور الأمة الفلسطينية، ويوماً بعد يوم يقتربون من عدو هؤلاء الناس فتكون تيجانهم بلا روؤس كما وقع حاليا.

العدالة الاجتماعية

شخصية البطل عادة ممزوجة بعبق العدل والانصاف كى يترنم بها الناس فى سمرهم ويكتبونها عنوالا على قائمة أعمالهم «وهذه الفضيلة من القيم التى جاء بها الإســـلام وحثّ عليها. كذلک فإنّ المتتبع للتاريخ الإسلامى، لابدّ أن يلحظ أنّ شخصيّة القائد فى المجتمع الإسلامى، لم تنسلخ يوماً عن شخصية الإنسان العادل.» (الرقب، ١٩٨٤م: ١٠٥) فهارون هاشم يرى مجتمعه ملأ ظلماً وجوراً فيهتف بتشييع جثمان العدالة الاجتماعية ومحزونا متألما ســـائلا جنود الاحتلال سبب حرمان شعبه من العدالة الاجتماعية، بلغة قاسية ناقدة حاقدة: هل من العدل أن نحنى رؤوسنا أمام الغاصبين ونقصّر عن مواقفنا؟ هل من العدل أن يموت أطفالنا من الجوع؟ والظلام يحيط بنا؟

إنّ السَّـــلام بأن تكونَ حقوقُنا محفوظـــةً لا تســـتباحُ وتوأدُ
فهل العدالةُ أن نُطاطىءَ رأسَنا للغاصبـــين، ونُســـتَبى ونُقيّدُ؟

وهل العدالةُ أن يموتَ صغارُنا جوعاً، ويطوينا الظَلامُ الأسودُ؟

(رشيد، ١٩٩٨م: ٣٨)

المحتلّ الصهيونى يتعرض للشعب الفلسطينى بشتى حالات التمييز، اجتماعياً وسياسياً و...إلخ فالشاعر واع بهذه الجرائم، فاستطاع ببنات شفاه نقد هذه المظالم تجاه أمته. المتحسس بالحريّة فى شعر هاشم رشيد «يجده ركز فى تعبيره وألفاظه على الحرية بكلّ أبعادها، والحرية التى كانت تهمّ هاشم رشيد هى حرية الكلمة، وحرية الحياة على أرض الأجداد المسلوبة، وحريّة أن يكون إنساناً كما يريد هو لا كما يريده الآخرون.» (بيارى، ٢٠٠٦م: ١٠١) تبرز فى قصيدة "عينى على السُجناء" صورة الإنسان السجين فرغم النيران والقيد والذل وفقدان السلام والعدل، بقى يأمل بالصباح الحر وبالفجر المنير فتكون صرخة التفاؤل الثورى أقوى من النيران والقيود والاختناق وعتمة السجن:

سُجَناء نحنُ كما همو فى القيد فى ذُلٍّ المُغير أنفاسُنا مخنوقةٌ، والنّارُ تَغلى فى الصدورِ

من غير تحقيقِ السّلامِ العدلِ تقريرِ المصيرِ من غيرِ أن نلقاهم طلقاءَ مِن قيدٍ ونيرِ

من غيرِ عَودتهم نظلُّ كطائر الحزنِ الكسيرِ فَهُمو البشارةُ بالصباح الحُرِّ بالفجرِ المنيرِ

(رشيد، ١٩٩٨م: ١٤-١٥)

من أسس العدالة الاجتماعية الحرية الشاملة التى حرم منها الشاعر مع شعبه لكن عدوه يفسرها على أساس العدل، فإنّ هذا دال " هو ردّ فعل حاسم لقضية السجن ولسبب الظلم فى المجتمع الفلسطينى. إنّ (السجن، القيد، الذل، المخنوقة، النار، النير) قسم من المأساة والحاضر المؤلم الذى يعيش فيه أبناء شعبه، نجد جلّ مطالع قصائد الشاعر تمتاز بالمعاناة التى يعيشونها من سجن و... إلخ، أمّا فى نهايتها يختمها الشاعر بالأمل والحياة ويرفض أن يكون اليأس والقنوط عنواناً له وكأنه راوى رومانسى يتطلع للصبح القريب. فهذا القنوط فى البداية والأمل فى النهاية دالا على أن الحق شاهرا وظاهرا وأن تأخر لكنه منتسرا فى النهاية، لكن الحالة الاجتماعية الحالية هى حالة قنوط ويأس وفقدان أى قيم يدعى بها الإنسان الحاضر والمتحضر فى المجامع الأنسانية أو الغربية وفى النهاية هى التى طغت على أشعار هاشم وعبرت عن فقدان

حالة اجتماعية للمواطن الفلسطينى.

الشعبية

نظرة خاطفة تكفى لكل كيس فى قصائد هاشـــم رشيد، لا تدع له أى مجال للشك على أنه شـــاعر ذات اهتمامات اجتماعية عميقة، وشـــاعر ينبض قلبه للناس فشعره مرآة تعكس صورة المجتمع بكل أبعادها الاجتماعية والثقافية والسياســـية لأن الجبهة الشـــعبية تعنى «الكفاح فى سبيل الشـــعبية الحقيقية والترابط المتعدد الجوانب مع كل حياة الشعب، تعنى ايجاد توجيهات وشعارات تحرك الميول التقدمية فى حياة الشعب. إنّ الصلة الحية بحياة الشـــعب والتطور اللاحق التقدمى لتجارب الحياة الخاصة هذان هما بذات الرسالة الاجتماعية الكبرى للأدب.» (جورج، ١٩٨٥م: ١٥٦-١٥٧) عاش الشـــاعر فى مجتمع لابسته ظروف سياسية اســـتعمارية ووقف ينشد عن هذه الظروف، فكان أدبه فى خدمة الشـــعب والإنســـانية ويتحدّث عن آلآم الحرمـــان ويدعو إلى الإصلاح الاجتماعى فهو دائما يقف ضد الاحتلال والحرب والاستعمار واحتقار المرأة والطغاة المســـتبدين حتى أصبح الشاعر مســـؤولاً عن طرح قضايا شعبه مع المساهمة فى حلّها وفى تغيير الواقع نحو الأفضل، فيصل هارون إلى أعمق جذور آلام الشـــعب، ويتحدّث عن أكبر مشـــاكلهم عاكســـا القضايا الأصلية للمجتمع رغم كل الضغوطات السياسية استطاع إيقاظ الشعب بأغانيه الشعبية حول الفوضى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى لعبت بمعراج النبى والقبلة الأولى. من أهم عناصر الشـــعر الشـــعبى الاهتمام بالقضايا السياســـية والانتقاد من وجود الأجانب، لأنّ قرار المحتلين يؤثر فى حياة الشعب، وهنا هاشم رشيد وهو يؤكد على مفهوم الاحتلال يرسم الحرية المسلوبة لشـــعبه، إنّه يشير إلى حياة الشـــعب قبل الاحتلال وبعده: «كنّا فى العالَمِ/ طُلقاءَ/ كنّا أحياءَ/ كنّا نأكلُ/ ونشـــربُ/ نرتادُ/ أى مكانٍ/.../واليوم هنا/ نتقلّبُ/ فى الأصفادِ/ لا بابَ/ يفتحُ/ فى أوجهنا/ لا أسعادَ.»(رشـــيد، ١٩٨١م: ٥٣٠). فمن هذا المفهوم يظهر كيف الشاعر يهتم بشعبه ويشاركه بكل شئ. ويتطرق من خلال هذه الأبيات إلى زمان كان المواطن العربى الفلسطينى يتنعم بالحرية والمكانة الإنسانية التى فقدها حاليا فهو

يرسم صورتين ماضية وحالية تعبر القديمة على حال أفضل وتحسب ضمن النوستولوجيا التى يتمناها الشخص والحاضرة صورة سلبية دامغة أى أمل يتلذذ به الشخص فى هذه الظروف المأســـاوية. ومن العناصر الأخرى التى جعلت الشعراء الشعبيين يشكون هو فقر النازحين واللاجئين، الفقر الذى هو نتاج الاضطراب السياسى والاقتصادى:

والنازحُ المســـكينُ ظمآن...يعذبه ظماه هزّ الحنين فؤاده...والجوع أعول فى حشاه

(رشيد، ١٩٥٤م: ١١٤)

فصورة النازح المرســـومة على جبين قصائده تدل على مشاركة هارون هاشم فى أتراح شـــعبه فهو يدخل فى جزيئيات سيكولوجية الشخوص مشاركا هموهم وشاعرا بما يكوى أفندتهم فهذه التعابير ترســـم أبهى صورة تشير على مفهوم الشعبية اللوكاشية المقصودة وتارة أخرى يصوّر الشـــاعر العديد من جوانب حياة الناس فى قصائده، فإنّ الاهتمام بوجود المرأة من أهم عناصر الأدب الشـــعبى الذى يمكن ملاحظته فى قصيدة "الأم الخالدة":

فأكونُ خالـــدةً بحقٍ عندما يعلو صغارى بالعلوم وأصمدُ

لأخلدَ البطلَ الذى فارقتُه بصغـــاره وبه أعـــزُّ وأخلدُ

(رشيد، ١٩٩٨م: ١١٦)

يشـــير الشاعر إلى وجود المرأة ودورها البارز فى التعلّم، الأمهات اللواتى يحاولن تربية أطفالهن بالمعرفة لإبقاء ذكرى المحاربين فهاشـــم لا ينسى الدور البارز الذى لعبته المناضلات فى الساحات مهما يكون مدلول الساحة سيال لكنه يدخل ضمن إطار التعادل الذى يساوى بين الشعب والإرادة المنشودة التى سيطلبها فهذه المشاركة لا تبعد هاشم عن شعبه بل تقربه حتى تضعه فى صميم الأحداث، وهو دائما يترجز بشجاعة وإرادة الأمة العربية للقتال والمقاومة ويقودهم إلى الجهاد بعزم شديد، هو يدعو شعبه إلى أن ينهض من جديد ولا يستســـلم للأحداث والوقائع وكذلك يدعو الشباب إلى محاربة القنوط:

أليس من العار موت النسور على الأرض لا فى عنان السماء؟

تحامل، وغلغل، وراء الخطوب وأطلق جناحيـــك، أطلقهما

(رشيد، ١٩٥٤م: ٨)

فما نجده فى السمة الشعبية، الدور البارز الذى لعبه هاشم فى تصوير حالات شعبه ومشاركته فى شتى همومه ولأن المباحث السابقة نوعا ما أشارت لهذه الحالة من خلال الشرح والتحليل فاختصرنا فى تبيين كل أبعادها كى نجتنب الحشو الممل.

النتيجة

على أساس هذا البحث يمكن القول أنّ السمات الثلاث لواقعية لوكاش قد انعكست فى أشعار هارون هاشم رشيد:

- يرسم الشاعر حقائق مجتمعه مثل حالة اللاجئين، والاستعمار والمناضلة الفلسطينية وظلم العدو الصهيونى وفقدان الحرية بصدق وإخلاص فهو لا يتصرف حسب إرادته بل يترک وجهات نظره وأغراضه جانباً، ويصف فقط الحقائق التى لمسها عن كثب بصدق، تلک الأحداث التى شهدها فى مجتمعه. إنّه لا يشير إلى الظروف السيئة فى بلده فحسب بل يبيّن كيفية عمل أعدائه تجاه شعبه.
- الإضافة إلى إظهاره للظروف غير المواتية لأرضه، ينتقد الشاعر التناقضات الاجتماعية وتحديات أرضه بالمعرفة الكاملة وينتقد فى أجزاء من قصائده سياسات الحكومات الاستعمارية وأنصارها والحكام العرب ويشير إلى تدخّلاتهم فى شؤون شعبه ودعمهم لإسرائيل، ويراهم السبب الأساسى فى معاناة مجتمعه، ولولا ظلمهم بحق شعبه لما كان وضع هذه الأمة على هذه الحال من التشرد والحرمان، ويرى أنّ أمور كالعدالة والحريّة تكون مسلوبة من قبل الأجانب والحكام فيصرخ بوجههم وبهذه الطريقة يقوم بمهمته فى انتقاد الظروف المأساوية لذلک فإنّ السمة الثانية لهذه المدرسة تظهر بوضوح على جبين القصائد.
- إنّ الشاعر من خلال تأثّره بالبيئة الاجتماعية ولا سيما الشروط التى تحكم أرضه استطاع الوصول إلى عمق جذور آلام الشعب، وإلى عمق أفكارهم ومشاعرهم ودائما تحدّث عن أكبر المشاكل التى واجهها الشعب، ورغم كل

الضغوطات السياسية استطاع إيقاظ الشـــعب بأغانيه الشعبية حول الفوضى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. إنّه يركز على القضايا التى ترتبط بالعامة ويتجسّد تأثير هذه القضايا على معيشة شعبه، فالمتابع لقصائده يرى أنّه يكون ملتزماً بقضايا تخدم شـــعبه، لذا، فإنّ السمة الشـــعبية لواقعية "لوكاش" تظهر شعبيتها فى كثير من الإنتاج الهارونى.

المصادر والمراجع

إبراهيم، حافظ. (٢٠١٣م). ديوان حافظ إبراهيم. تدقيق: محمد فوزى حمزة. القاهرة: مكتبة الآداب.

أبوشقراء، محيى الدين يوسف. (٢٠٠٥م). مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربى. ط١. المغرب: الدار البيضاء.

آرون، بول وألان فيالا. (٢٠١٣م). سوســـيولوجيا الأدب. ترجمة: محمد على مقلد. مراجعة: حســـن الطالب. ط١. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

بيارى، ســـناء. (٢٠٠٦م). الأبعاد الموضوعية والفنية فى شـــعر هارون هاشم رشيد. رسالة ماجستير. فلسطين: جامعة بيرزيت.

الجيوسى، سلمى الخضراء. (١٩٩٧م). موسوعة أعلام الأدب العربى. بيروت: دار الفارس.

حســـانين، إيمان إمام عبدالعظيم. (٢٠١٩م). «الالتزام فى نقد الرواية الواقعية». مجلة هرمس. المجلد الثامن. العدد الأول. صص ١٣٢-٩٩

حمداوى، جميل. (٢٠١٩م). سوسيولوجيا الأدب والنقد. ط١. الخليج العربى.

الحمود، نجية فايز. (٢٠١٣م). «صورة اللاجئ الفلســـطينى فى شـــعر هارون هاشم رشيد ديوان مع الغرباء نموذجاً». مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراســـات. العدد التاسع والعشرون. صص ٥٠-١١

خفاجى، محمد عبدالمنعم. (١٩٧٥م). النقد العربى الحديث. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

رشيد، هارون هاشم. (١٩٩٨م). ديوان وردة على جبين القدس. ط١. القاهرة: دار الشروق.

ـــــــــــــــــــــــ . (١٩٥٤م). ديوان مع الغرباء. ط١. القاهرة: المطبعة المنيرية.

ـــــــــــــــــــــــ . (١٩٨١م). مجموعة أعماله الشعرية. بيروت: دار العودة.

ـــــــــــــــــــــــ . (١٩٩٨م). طيور الجنة قصائد للشهداء. ط١. القاهرة: دار الشروق.

الرقب، شفيق محمد عبدالرحمن. (١٩٨٤م). شعر الجهاد فى عصر الموحدين. عمان: مكتبة الأقصى.

شميسا، سيروس. (١٣٨٥ش). نقد ادبى. چاپ سوم. تهران: نشر ميترا.

عبدالمعطى، عبدالباسط. (١٩٨١م). اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع. الكويت: عالم المعرفة.

قصاب، وليد. (۲۰۰۹م). مناهج النقد الأدبی الحديث. ط۲. دمشق: دار الفكر.
لوكاچ، گئورگ. (۱۳۷۳ش). پژوهشی در رئاليسم اروپايی. ترجمه: اكبر افسری. چاپ اول. تهران: انتشارات علمی و فرهنگی.
لـــوكاش، جورج. (۱۹۸۵م). بلزاک والواقعية الفرنســـية. ترجمة: محمد علی اليوســـفی. ط۱. تونس: التعاضدية العمالية للطباعة والنشر.
الموسی، أنور عبدالحميد. (لاتا). علم الاجتماع الأدبی، منهج سوسيولوجی فی القراءة والنقد. القاهرة: دار النهضة العربية.
النوری، محمد جواد. (لاتا). من أعلام الفكر والأدب فی التراث العربی. مطبعة الشرق العربية. القدس.
الهواری، فالح رافع. (۲۰۱٤). صورة المســـتعمر فی الشـــعر العربی الحديث فی الأردن وفلسطين فی الفترة الواقعة بين (۱۹۲۱-۱۹٥٦). جامعة مؤتة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی